قصة مؤمن آل فرعون: دراسة دعوية

دكتور/ ماجد بن عبدالله بن إبراهيم البصيص
الأستاذ المساعد بقسم الدعوة
المعهد العالي للدعوة والاحتساب
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

المقدمة

بسم الله، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله الطيبين الطاهرين، ورضي الله عن أصحابه الغرّ الميامين، وعن كل صادق متبع بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فهذا بحث حاولت فيه –على قدر الاستطاعة– استخراج الفوائد الدعوية من قصة مؤمن آل فرعون؛ إذ إنّ من واجب الداعية تدبُّر القصص القرآني ليستلهم منه الفوائد والعبر والمعالم الدعوية لتعينه على أداء رسالته، وهذا من الحكم العظيمة التي من أجلها اشتمل القرآن الكريم على قصص الرسل والأنبياء مع أقوامهم، فإن عماد هذه القصص وموضوعها الرئيس إنما هو الدعوة إلى الله تعالى؛ لذا ينبغي للمتخصص في مجال الدعوة أن ينظر دائمًا في القصص القرآني ليستخرج منه المنهاج الذي يسير عليه، ويستمد منه النور الذي يضيء له طريق الدعوة إلى الله تعالى، ويشحن همته وعزيمة ليواصل المسيرة؛ فإن الطريق به كثير من العقبات، ويشتمل على كثير من الصعوبات.

وبعد هذه المقدمة أبدأ بذكر:

أسباب اختيار الموضوع:

١. اشتمال قصة مؤمن آل فرعون على منهج دعويّ ينبغي للدعاة إلى الله الاستنان به.

٢. تعدد الملامح والفوائد الدعوية في قصة مؤمن آل فرعون.

٣. ارتباط مؤمن آل فرعون بنبيّ الله وكليمه –موسى عليه السلام– واشتراكهما في دعوة فرعون.

أهداف الدراسة:

١. التعريف بمؤمن آل فرعون، وبيان صلته بفرعون.

٢. بيان الفوائد الدعوية المتعلقة بالداعية من خلال قصة مؤمن آل فرعون.
٣. بيان الفوائد الدعوية المتعلقة ب المَدْعُوّ من خلال قصة مؤمن آل فرعون.
٤. بيان الفوائد الدعوية المتعلقة بموضوع الدعوة من خلال قصة مؤمن آل فرعون.
٥. بيان الفوائد الدعوية المتعلقة بالوسائل والأساليب من خلال قصة مؤمن آل فرعون.

أسئلة الدراسة:

١. من هو مؤمن آل فرعون، وما صلته بفرعون؟
٢. ما الفوائد الدعوية المستنبطة من قصة مؤمن آل فرعون المتعلقة بالداعية؟
٣. ما الفوائد الدعوية المستنبطة من قصة مؤمن آل فرعون المتعلقة بالمَدْعُوّ؟
٤. ما الفوائد الدعوية المستنبطة من قصة مؤمن آل فرعون المتعلقة بموضوعات الدعوة؟
٥. ما الفوائد الدعوية المستنبطة من قصة مؤمن آل فرعون المتعلقة بوسائل الدعوة وأساليبها؟

تقسيم الدراسة:

المقدمة: تشتمل الدراسة على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف الدراسة، وأسئلة الدراسة.

المبحث الأول: التعريف بمؤمن آل فرعون وصلته بفرعون.

المبحث الثاني: الفوائد الدعوية المتعلقة بالداعية في قصة مؤمن آل فرعون.

المبحث الثالث: الفوائد الدعوية المتعلقة بالمَدْعُوّ في قصة مؤمن آل فرعون.

المبحث الرابع: الفوائد الدعوية المتعلقة بموضوعات الدعوة في قصة مؤمن آل فرعون.

المبحث الخامس: الفوائد الدعوية المتعلقة بوسائل الدعوة وأساليبها في قصة مؤمن آل فرعون.

الخاتمة وبها أهم نتائج البحث.

المبحث الأول: التعريف بمؤمن آل فرعون وصلته بفرعون.

لقد ذكر الله قصة مؤمن آل فرعون في سورة غافر، في سبع آيات منها، ويبدأ سرد قصة مؤمن آل فرعون من الآية الثامنة والعشرين، إلى أن اختتمت بالآية الرابعة والعشرين، واختلف أهل العلم في تحديد اسمه ونسبه وفي قرابته مع فرعون وعمله ومهنته في مملكته، وسنورد ذكر ذلك في الآتي:

أولًا: اسمه:

اختلف في اسمه على خمسة أقوال:

أحدها: حزبيل، قاله ابن عباس، ومقاتل، والثاني: حبيب: قاله كعب، والثالث: سمعون، بالسين المهملة، قاله شعيب الجبَّائي، والرابع: جبريل، والخامس: شمعان، بالشين المعجمة، رويا عن ابن إسحاق، وكذلك حكى الزجاج «شمعان» بالشين، وذكره ابن ماكولا بالشين المعجمة أيضًا.[1]

ثانيًا: نسبه:

اختلف في نسبه على ثلاثة أقوال:

أحدهما: أنه كان قبطيًّا، قاله قتادة ومقاتل، والثاني: كان إسرائيليًّا،[2] وقيل: كان غريبًا ليس من الفئتين.[3]

ثالثًا: قرابته مع فرعون:

اختلف في قرابته من فرعون على قولين:

أحدهما: أنها بمعنى الأهل والنسب، قاله السدي ومقاتل: كان ابن عم فرعون، والثاني: أنه بمعنى القبيلة والعشيرة، قاله قتادة.[4]

رابعًا: عمله ومهنته:

اختلف في عمله ومهنته مع فرعون على قولين:

---

(1) انظر: زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٨٩/٥، ، فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، دار الكلم طيب، بيروت، ط: ١، ١٤١٤هـ. ١٩٠/٤،

(2) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ، ٣٧٦/٢١، وزاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ٣٥/٤.

(3) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، ت: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، ٣١٧/١٢.

(4) انظر: زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ٣٥/٤.

أحدهما: أنه كان يعمل في مملكة فرعون ولم يحدد المهنة،[١] والثاني: قيل كان يجري مجرى ولي العهد ومجرى صاحب الشرطة،[٢]وكان جاريًا مجرى ولي العهد له، ومجرى صاحب السر له.[٣]

وخلاصة القول: أن مؤمن آل فرعون رجل آمن بموسى عليه سلام، وكتم إيمانه ونسب لقوم فرعون، ولا فائدة تذكر من معرفة اسمه وإلا لذكره الله في كتابه، وإنما كان الغاية مضمون ما جاء في القصة من عبر ودروس، وأنه كان صاحب كلمة مسموعة وصاحب تأثير في فرعون، وهذا ظاهر بعد أن هم فرعون بقتل موسى عليه السلام، فكانت لكلمات مؤمن آل فرعون محل وقع في نفس فرعون، ولذا أصغى لكلام مؤمن آل فرعون واستمع لها وتوقف عن تنفيذ القتل.

وقد رجح الإمام القرطبي رحمه الله كون مؤمن آل فرعون قبطيًا وابن عم فرعون؛ حيث قال بعد أن ذكر من قال بالقولين: وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي القول الذي قاله السديّ من أن الرجل المؤمن كان من آل فرعون، قد أصغى لكلامه، واستمع منه ما قاله، وتوقف عن قتل موسى عند نهيه عن قتله.[٤]

المبحث الثاني: الفوائد الدعوية المتعلقة بالداعية في قصة مؤمن آل فرعون

أولًا: دعوة العشيرة الأقربين وإبلاغهم دين الله:

إنّ مؤمن آل فرعون قام بتنفيذ واجب الدعوة إلى الله وقام بالبلاغ لفرعون، وبيّن صدق رسول الله موسى عليه السلام، ووعظهم وذكّرهم مغبة مخالفة الأنبياء، ودعاهم إلى الهدي المستقيم. فالله نسب المؤمن لآل فرعون فهو منهم وهم منه، قال الله –عزَّ وجلَّ– : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ والآل خاصة الرجل من جهة القرابة أو الصحبة، تقول: آل الرجل لأهله وأصحابه، وقال المبرد إذا صغرت العربُ الآلَ قالت: أُهَيْل، فيدل على أن أصل الآل الأهل.[٥] . قال السدي: هو ابن عم فرعون.[٦]

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ت:عبد الرحمن بن معلا اللويحق،٧٣٦،مؤسسة الرسالة،طبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، ت: علي عبد الباري عطية، ٣١٧/١٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

(٣) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ١١٣/٥، الناشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت، الطبعة: الأولى– ١٤١٨هـ

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، ٣٧٦/٢١، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.

(٥) الفروق اللُغوية، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، ت: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ص٢٨١.

(٦) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري ، ٣٧٦/٢١، والجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، ط: ٢، ١٩٦٤م، ٣٠٧/١٥.

وجاء في تخصيص العشيرة الأقربين بالدعوة إلى الله، قول الله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[1]، وكما جاء في السنة النبوية دعوة الأقربين؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾، دَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُرَيْشًا، فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَخَصَّ، فَقَالَ: «يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ، أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا».[2]

وجاء ذكر البلاغ في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية بدعوة عامة المَدْعُوّين، فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[3]، وقال -عزَّ وجلَّ-: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[4]، هذا أمر من الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم بأعظم الأوامر وأجلها، وهو التبليغ لما أنزل الله إليه، ويدخل في هذا كل أمر تلقته الأمة عنه صلى الله عليه وسلم من العقائد والأعمال والأقوال، والأحكام الشرعية والمطالب الإلهية. فبلغ صلى الله عليه وسلم أكمل تبليغ، ودعا وأنذر، وبشّر ويسّر، وعلّم الجهّال الأميين حتى صاروا من العلماء الربانيين، وبلّغ بقوله وفعله وكتبه ورسله. فلم يبقَ خير إلا دلَّ أمّته عليه، ولا شرّ إلا حذّرها منه، وشهد له بالتبليغ أفاضل الأمة من الصحابة، فمن بعدهم من أئمة الدين ورجال المسلمين.[5]

وفي السنة النبوية عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّمَا أَنَا مُبَلِّغٌ وَاللَّهُ يَهْدِي، وَقَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي، فَمَنْ بَلَغَهُ مِنِّي شَيْءٌ

---

(1) سورة الشعراء: ٢١٤.

(2) الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، ، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾، دار الجيل بيروت ودار الأفاق الجديدة ــ بيروت. ١/١٣٣،ح (٢٠٤).

(3) سورة المائدة: ٦٧.

(4) سورة المائدة: ٩٢.

(5) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، طبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ، ٢٣٩.

بِحُسْنِ رَغْبَةٍ وَحُسْنِ هُدًى فَإِنَّ ذَلِكَ الَّذِي يُبَارِكُ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ بَلَغَهُ عَنِّي شَيْءٌ بِسُوءِ رَغْبَةٍ وَسُوءِ هُدًى فَذَاكَ الَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ»[1].

ولذا تزاد الأهمية وتتأكد على الدعاة إلى الله لكون المَدْعُوّين من ذوي القربات في النسب؛ فهم أولى بالنصح والوعظ والإرشاد وإن لم يقبلوا منك، ولذا أمر الله نبينا محمد عليه الصلاة وأتم التسليم في بدايات الدعوة بدعوة العشيرة الأقربين، فقال سبحانه: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[2] فهذا من منهج للرسل، ومثلهم خلفاؤهم العلماء العاملون، فقد ورد في الأثر: «أَزْهَدُ النَّاسِ فِي الأَنْبِياءِ وأَشَدُّهُمْ عَلَيْهِمُ الأَقْرَبُونَ» قوله: (وأشدهم عليهم) في إيصال الأذى والإيلام بالبذاء (الأقربون) منهم بنسب أو مصاهرة أو جوار أو مصاحبة أو اشتراك في حرفة أو نحو ذلك، ولهذا نصَّ الله سبحانه وتعالى على تخصيصهم بالإنذار وإن لم يسمعوا قولك أو لم يقبلوا نصحك؛ لكونهم أزهد الناس فإن ذلك ليس عذرًا مسقطًا للتبليغ عنك.[3]

ثانيًا: جواز كتمان الإيمان:

وصف الله –عزَّ وجلَّ– مؤمن آل فرعون أنه يكتم إيمانه، كما قال الله سبحانه، ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ ﴾[4]، قال مقاتل: كتم إيمانه من فرعون مائة سنة.[5]

وكما ورد في السنة النبوية من قصة إسلام أبي ذر رضي الله عنه في بداية الدعوة في العهد المكي في المرحلة السرية من دعوة نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وقد قال الله سبحانه عن دعوة نوح –عليه السلام– في وصف بعض أحوالها بالإسرار، فقال –عزَّ وجلَّ–: ﴿ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾[6]

وفي قصة أبي ذر –رضي الله عنه– لما بلغه مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فَقُلْتُ لَهُ: اعْرِضْ عَلَيَّ الإِسْلاَمَ، فَعَرَضَهُ، فَأَسْلَمْتُ مَكَانِي، فَقَالَ لِي: يَا أَبَا ذَرٍّ، اكْتُمْ هَذَا

([1]) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: شعيب الأرنؤوط– عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م، ١٣٣/٢٨،ح (١٦٩٣٦) .

([2]) سورة الشعراء: ٢١٤.

([3]) فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المَدْعُوّ بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦ه، ٤٨٢/١.

([4]) سورة غافر: ٢٦.

([5]) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ٢٨٩/٥.

([6]) سورة نوح: ٩.

الأَمْرَ، وَارْجِعْ إِلَى بَلَدِكَ، فَإِذَا بَلَغَكَ ظُهُورُنَا فَأَقْبِلْ،...»[1]. وذكر الإمام ابن تيمية رحمه الله ضابط التستر بالإيمان، فقال: ليس مذهب السلف مما يتستر به إلا في بلاد أهل البدع، مثل بلاد الرافضة والخوارج، فإن المؤمن المستضعف هناك قد يكتم إيمانه واستتانه، كما كتم مؤمن آل فرعون إيمانه، وكما كان كثير من المؤمنين يكتم إيمانه حين كانوا في دار الحرب.[2]

فالمؤمن إذا كان بين الكفّار والفجّار لم يكن عليه أن يجاهدهم بيده مع عجزه، ولكن إن أمكنه بلسانه وإلا فبقلبه مع أنه لا يكذب ويقول بلسانه ما ليس في قلبه، إما أن يظهر دينه وإما أن يكتمه، وهو مع هذا لا يوافقهم على دينهم كله، بل غايته أن يكون كمؤمن آل فرعون وامرأة فرعون، وهو لم يكن موافقًا لهم على جميع دينهم، ولا كان يكذب ولا يقول بلسانه ما ليس في قلبه، بل كان يكتم إيمانه، وكتمان الدين شيء وإظهار الدين الباطل شيء آخر، فهذا لم يبحه الله قط إلا لمن أُكره.[3]

ولذا يجوز كتمان الإيمان في بلد يخشى على أهله من إلحاق الضرر بالنفس أو بالدين.

ثالثًا: مراعاة المصالح والمفاسد:

إن كتمان مؤمن آل فرعون إيمانه مدة من الزمن ودفاعه عن موسى عليه السلام واستمراره في الكتمان مع دفاعه عنه بالحجج والبراهين المؤكدة على صدقه، ثم رد فرعون على تلك البراهين التي عرضها مؤمن آل فرعون، واستمراره بالوعظ والتذكير بالنعم التي ساقها الله عليهم، وتخويفهم بما حلَّ الله بالأمم السابقة من العذاب بسبب عصيانهم لأنبيائهم، وترهيبهم باليوم الآخر، واستمرار فرعون وغطرسته ورفضه لتلك البينات والبراهين، وطلبه من هامان أن يبني له صراحًا ليطلع على إله موسى، ومؤمن آل فرعون يكتم إيمانه حتى صرّح بإيمانه، فقال -عزَّ وجلَّ-: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾[4].

([1]) الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ، كتاب المناقب، باب قصة إسلام أبي ذر رضي الله عنه، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، ١٢٩٤/٣، ح (٣٣٢٨).

([2]) مجموع فتاوى ابن تيمية، دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية – ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ١٥٤/٤٧.

([3]) منهاج السنة النبوية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ه، ٤٢٤/٦.

([4]) سورة الزمر: ٣٨.

إن فرعون لما قال: ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾ لم يصرّح ذلك المؤمن بأنه على دين موسى، بل أوهم أنه مع فرعون وعلى دينه، إلا أنه زعم أن المصلحة تقتضي ترك قتل موسى، لأنه لم يصدر عنه إلا الدعوة إلى الله والإتيان بالمعجزات القاهرة وهذا لا يوجب القتل، والإقدام على قتله يوجب الوقوع في ألسنة الناس بأقبح الكلمات، بل الأولى أن يؤخر قتله.[١] فالقرآن مصرح بأن مؤمن آل فرعون أظهر إيمانه لما أرادوا قتل موسى عليه السلام على ما يأتي بيانه.[٢]

وقد نهى الله عن سب آلهة المشركين، فقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[٣]، فنجد أن الشريعة الإسلامية تقدم المصلحة على المفسدة، قال الله سبحانه: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[٤]، وتارة تقدم المفسدة على المصلحة عند تعارضهما، قال الله –عزَّ وجلَّ–: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَا ﴾[٥]

اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة فمتى قدر الإنسان على اتباع النصوص لم يعدل عنها وإلا اجتهد برأيه لمعرفة الأشباه والنظائر، وقل أن تعوز النصوص من يكون خبيرًا بها وبدلالتها على الأحكام.[٦]

والقاعدة العامة المتفق عليها أنه إذا تعارضت المصالح والمفاسد وجب مراعاة الأكثر منها والأعظم، فحكم بما تقتضيه، فإن تساوت فدرء المفاسد أولى من جلب المصالح.[٧]

وهذه دلالة واضحة على مراعاة المصالح والمفاسد، ولذا مؤمن راعى كتمان الإيمان مدة من الزمن وواجه فرعون وثناه عن مراده، وصرّح بإيمانه وأظهر الشفقة والرحمة بذلك التصريح.

---

(١) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: ٣، ١٤٢٠هـ، ٥١١/٢٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ، ٣٠٩/١٥ .

(٣) سورة الأنعام: ١٠٨.

(٤) سورة البقرة: ٢١٦.

(٥) سورة البقرة: ٢١٩.

(٦) مجموع فتاوى ابن تيمية، ٢٨/١٢٩.

(٧) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر: دار الوطن – دار الثريا، الطبعة: الأخيرة – ١٤١٣هـ، ٢٣٦/١٤.

رابعًا: أن الله ينصر رسله وأنبياءه وعباده الصالحين:

أظهر الله نصرة مؤمن آل فرعون لموسى عليه السلام بعدما هم فرعون بالقتل، فقال سبحانه: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾[1]، وكفل الله لمؤمن آل فرعون بعد دفاعه عن موسى عليه السلام ونصرته له، والنصح والتذكر وإقامة الحجة على فرعون وقومه، فقال -عزَّ وجلَّ-: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾[2]

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾[3] وهذه سنة الله في خلقه أن يدافع عن رسله وأنبيائه وعباده الصالحين، قال -عزَّ وجلَّ-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾[4]، فدفعه ودفاعه عنهم بحسب قوة إيمانهم وكماله ومادة الإيمان وقوته بذكر الله تعالى، فمن كان أكمل إيمانًا وأكثر ذكرًا كان دفع الله تعالى عنه ودفاعه أعظم ومن نقص نقص ذكرًا بذكر ونسيانًا بنسيان.[5]

وقد بيّن الله في كتاب أسباب نصر الله للمؤمنين في طاعة أمر الله واجتناب سخطه، فقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[6]، ومن أسباب النصر الصبر في سبيل الله، فقال -عزَّ وجلَّ-: ﴿فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[7].

خامسًا: نصرة المظلومين من بطش المعتدين:

إن مؤمن آل فرعون لما سمع فرعون وتهديده لموسى عليه السلام بالقتل أقدم على نصرة نبيه ولم يتوانَ ولم يتأخر في ذلك، فقال كما ورد في القرآن الكريم: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾[8]،

---

(1) سورة غافر: ٢٦.

(2) سورة الزمر: ٤٥.

(3) سورة غافر: ٥١.

(4) سورة الحج: ٣٨.

(5) الوابل الصيب من الكلم الطيب، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص ٩٩.

(6) سورة محمد: ٧.

(7) سورة هود: ٤٩.

(8) سورة غافر: ٢٨.

وكما ورد في السنة النبوية عن أبى سعيد الخدري قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ»(١).

وعن عروة بن الزبير – رضي الله عنه – قال: قَالَ: قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ: أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ مَا صَنَعَ المُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي بِفِنَاءِ الكَعْبَةِ، إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ فَأَخَذَ بِمَنْكِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَوَى ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقًا شَدِيدًا، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ بِمَنْكِبِهِ وَدَفَعَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾.(٢) وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُفْرِدَ يَوْمَ أُحُدٍ فِي سَبْعَةٍ مِنَ الأَنْصَارِ وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَلَمَّا رَهِقُوهُ ، قَالَ : مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ ؟ ، أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ ، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ، ثُمَّ رَهِقُوهُ أَيْضًا ، فَقَالَ : مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ ؟ ، أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ ، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِصَاحِبَيْهِ : «مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا».(٣)

وهذا الرجل المؤمن إنما فعل ما فعل غضبًا لله ودفاعًا عن رسوله وحماية لدينه، ولذا ينبغي لمن له قدرة على نصرة المظلومين ومنع الظالمين من البطش بهم أو سعي على تقليل ذلك الظلم أن يفعل، وإن هذا لمن القربات التي يتقرب بها إلى الله.

سادسًا: أن الهداية بيد الله:

مع ما أظهر فرعون من تكبر وعناد لم يثن مؤمن آل فرعون عن دعوته وإتمام إقامة الحجة عليه، وقد قال الله –عزَّ وجلَّ–: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(٤).

ولأهمية البلاغ ووجوب أن لا يترك البلاغ بحجة عدم الاستجابة قال سبحانه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾(٥)، يقول تعالى ذكره لنبيه

---

(١) سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ٢١٧/٤، ح (٤٣٤٦).

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المشركين بمكة، ٣/ ١٤٠٠ ح (٣٦٤٣).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد، ١٤١٥/٣، ح(١٧٨٩) .

(٤) سورة المائدة: ٦٧.

(٥) سورة القصص: ٥٦.

محمد صلى الله عليه وسلم: (إِنَّكَ) يا محمد (لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) هدايته (وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) أن يهديه من خلقه، بتوفيقه للإيمان به وبرسوله، وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل امتناع أبي طالب عمّه من إجابته، إذ دعاه إلى الإيمان بالله، إلى ما دعاه إليه من ذلك.[1]

وكان صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على هداية عمّه، فعن سعيد بن المسيب عن أبيه أنه أخبره: أنّه لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ، جَاءَهُ رَسُولُ الله صَلى الله عَلَيهِ وسَلمَ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، وَعَبْدَ الله بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ المُغِيرَةِ، قَالَ رَسُولُ الله صَلى الله عَلَيهِ وسَلمَ لأَبِي طَالِبٍ: يَا عَمِّ، قُلْ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ الله، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ الله بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ الله صَلى الله عَلَيهِ وسَلمَ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيَعُودَانِ بِتِلْكَ المَقَالَةِ، حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلى الله عَلَيهِ وسَلمَ: أَمَا وَالله لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ، فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى فِيهِ: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ} الآيَةَ.)[2].

ولذا على الدعاة إلى الله أن يحرصوا على هداية المَدْعُوّين ولا لوم عليهم بعد ذلك، قال الله سبحانه: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴾[3].

سابعًا: التوكل على الله تعالى:

إن التوكل على الله من العبادات القلبية ولا تقل شأنًا عن عبادات الجوارح، والتوكل على الله ظاهر في قصة مؤمن آل فرعون، فقد قال الله سبحانه: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾[4]، وقال الله عن موسى عليه السلام: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴾[5]، وأمر الله عباده بالتوكل عليه، فقال -عزَّ وجلَّ-: ﴿ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ﴾[6]، وقال سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾[7]

---

(1) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٥٩٨/١٩.

(2) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله، ٤٥٧/١ ح (١٢٩٤) .

(3) سورة الكهف: ٦.

(4) سورة غافر: ٤٤.

(5) سورة غافر: ٢٧.

(6) سورة النمل: ٧٩.

(7) سورة التغابن: ١٣.

وفي قول موسى عليه السلام ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ عدة فوائد منها : أنه لم يأتِ في دفع شره إلا بأن استعاذ بالله، واعتمد على فضل الله لا جرم صانه الله عن كل بلية، وأوصله إلى كل أمنية، وأنّ من تعوذ بالله صانه عن كل الآفات والمخافات، وأنه لا طريق أصلح ولا أصوب في دفع كيد الأعداء وإبطال مكرهم إلا الاستعاذة بالله والرجوع إلى حفظ الله.(١)

ومن ثمرة توكل مؤمن آل فرعون أن كفاه الله بطش فرعون. أن التوكل الصادق على الله، وتفويض الأمور إليه سبب للحفظ والوقاية من كل سوء، فقد دلت هذه الآية الكريمة، على أن فرعون وقومه أرادوا أن يمكروا بهذا المؤمن الكريم وأن الله وقاه، أي حفظه ونجاه، من أضرار مكرهم وشدائده بسبب توكله على الله، وتفويضه أمره إليه.(٢)

قال الله –عزَّ وجلَّ–: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾(٣)، وقى الله القويّ الرحيم، ذلك الرجل المؤمن الموفق، عقوبات ما مكر فرعون وآله له، من إرادة إهلاكه وإتلافه، لأنه بادأهم بما يكرهون، وأظهر لهم الموافقة التامّة لموسى عليه السلام، ودعاهم إلى ما دعاهم إليه موسى، وهذا أمر لا يحتملونه وهم الذين لهم القدرة إذ ذاك، وقد أغضبهم واشتد حنقهم عليه، فأرادوا به كيدًا فحفظه الله من كيدهم ومكرهم وانقلب كيدهم ومكرهم، على أنفسهم، ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ أغرقهم الله تعالى في صبيحة واحدة عن آخرهم.(٤) وأيضًا لما هدد فرعون موسى عليه السلام بالقتل كفاه الله شره وهيأ له رجلًا يدافع عنه.

ثامنًا: أهمية العلم في الدعوة إلى الله:

إن العلم من أساسيات الدعوة إلى الله، وظهر في قصة مؤمن آل فرعون ذم الجدال بدون علم، قال الله –عزَّ وجلَّ–: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾(٥)، وقد جاءت النصوص من الكتاب والسنة المبينة لأهمية العلم وبيان شرف أهله، فقال تعالى:

---

(١) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ٥٠٧/٢٧.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، عام النشر: ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥م، ٣٨٨/٦.

(٣) سورة غافر: ٤٥.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص ٧٣٨.

(٥) سورة غافر: ٣٥.

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[1]، قال الله سبحانه: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[2]، ويتأكد العلم قبل الدعوة إلى الله، قال الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[3] وقال -عزَّ وجلَّ-: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾[4]، ولذا بوّب الإمام البخاري -رحمه الله- في صحيحه باب العلم قبل القول والعمل، وحث النبي صلى الله عليه وسلم على العلم والتعلم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «...وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ...»[5]، وعن معاوية رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه قال: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ».[6] ووعد من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنصر والتأييد لأهل العلم، عن المغيرة بن شعبة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لاَ يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ».[7]

وقد حذّر الله سبحانه القول بدون علم فقال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾[8]، ولذا فإن الدعوة بدون علم ضررها متعدٍّ، فعن جابر -رضي الله عنه- قال خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ فَأَصَابَ رَجُلًا مِنَّا حَجَرٌ فَشَجَّهُ فِي رَأْسِهِ، ثُمَّ احْتَلَمَ فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ: هَلْ تَجِدُونَ لِي رُخْصَةً فِي التَّيَمُّمِ؟ فَقَالُوا: مَا نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُخْبِرَ بِذَلِكَ فَقَالَ: «قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ، أَلَا سَأَلُوا

---

(1) سورة طه: ١١٤.

(2) سورة الزمر: ٩.

(3) سورة التوبة: ١٢٢.

(4) سورة محمد: ١٩.

(5) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر، (٤٨٦٧) .

(6) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرًا يفقه في الدين، ٣٩/١ ح (٧١) ، وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، ٩٤/٣ ، ح (١٠٣٧) .

(7) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق يقاتلون وهم أهل العلم، ١٢٥/٩ ، ح (٧٣١١) ، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب قوله لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، ٥٣/٦ ح (١٩٢١) .

(8) سورة النحل: ١١٦.

إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ، إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ وَيَعْصِرَ –أَوْ يَعْصِبَ– عَلَى جُرْحِهِ خِرْقَةً، ثُمَّ يَمْسَحَ عَلَيْهَا وَيَغْسِلَ سَائِرَ جَسَدِهِ»[1]

والعلم في الدعوة إلى الله لا يقتصر على معرفة الموضوع الدعوي بل يتعدى ذلك إلى معرفة المَدْعُوّين وأحوالهم، ومعرفة الأساليب والوسائل المناسبة والمتلائمة مع المَدْعُوّين، وهذا ظاهر من حديث ابن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما عندما بعث معاذًا إلى اليمن.

المبحث الثالث: الفوائد الدعوية المتعلقة بالمَدْعُوّ في قصة مؤمن آل فرعون

إن من نجاحات العملية الدعوية والتي ينبغي للدعاة معرفتها، معرفة ما يتصل بأحوال المَدْعُوّين، فمعرفة دينهم ومعتقداتهم، وأصنافهم، وسماتهم وأوصافهم، والأسباب المانعة من الاستجابة، لمن أحد أسباب قبول الدعوة ونجاحها، ومواساة للداعية إذا لم يستجيبوا له، ولهذا لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذًا لليمن حدد له معتقد أهلها ودينهم، فعن ابن عباس– رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ»[2]وفي هذا المبحث سأذكر ما كان عليه فرعون وقومه من معتقد ودين، وأصناف المَدْعُوّين المذكورين في القصة، وسماتهم وأوصافهم، وكيفية دعوتهم، كما جاء في قصة المؤمن:

أولًا: معتقد فرعون وقومه ودينهم:

إن فرعون وقومه كانوا مشركين يعبدون الأوثان يتخذون من دون الله آلهة يعظمونها ويرجونها ويخافونها، كما جاء ذلك في قصة المؤمن، قال الله –عزَّ وجلَّ–: ﴿ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾[3]، حقًّا، إنّ الذي تدعونني إليه من الأوثان، ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة، لأنه جماد لا ينطق، ولا يفهم شيئًا.[4]

---

(1) سنن أبي داوود، كتاب الطهارة، باب في المجروح يتيمم، ١٣٢/١ ، ح (٣٣٦) .

(2) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب بَابُ أَخْذِ الصَّدَقَةِ مِنَ الأَغْنِيَاءِ وَتُرَدَّ فِي الفُقَرَاءِ حَيْثُ كَانُوا. ، ١٥٨/٢، ح (١٤٩٦) .

(3) سورة غافر: ٤٢–٤٣.

(4) جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٩١/٢١.

ثانيًا: أصناف المَدْعُوّين في قصة مؤمن آل فرعون:

ورد في قصة مؤمن آل فرعون عدد من أصناف المَدْعُوّين على حَسَب مكانتهم الاجتماعية: الملأ والوزراء، وعامة المجتمع، وعلى حَسَب نوعهم: ذكورًا، وإناثًا، وعلى حَسَب إيمانهم، مؤمنين، ومشركين كفارًا.

-**الملأ:** هم أشراف القوم وهم ذوو الشارة والتجمع للإدارة.[1]وقيل إن الملأ: أشراف الناس ورؤساؤهم، ومقدَّموهم الذين يرجع إلى قولهم.[2] ولم يذكر الملأ في قصة مؤمن آل فرعون إلا ذكر من بيده الزعامة على قومه، وهو فرعون الداخل في مسمى الملأ ووزيره هامان[3]، وجاء ذكر فرعون في القصة في قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾[4] ، وذكر معه هامان في قوله سبحانه: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ﴾[5]وجاء ذكر الملأ في أكثر من آية، ، وقال -عزَّ وجلَّ-: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[6]، وقال سبحانه: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾[7]

-**عامة المجتمع:** وهم السواد الأعظم.

وعلى حَسَب نوعهم:

-**الذكور:** ذكروا جميعًا الذكور والإناث في آية واحد، قال الله تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾[8]، الذكور ورد ذكرهم بلفظ الرجال في القرآن الكريم، ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[9] وقال -عزَّ وجلَّ-: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم

---

(1) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى، ١٥٨/١.

(2) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي، ٣٥١/٤، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ت: سامي محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: ٢، ١٩٩٩م، ١٤٤/٧.

(4) سورة غافر: ٢٩.

(5) سورة غافر: ٣٦.

(6) سورة القصص: ٣٨.

(7) سورة القصص: ٢٠.

(8) سورة غافر: ٤٠.

(9) سورة الجن: ٦.

مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾[1]، وتوجد في السنة النبوية بعض النصوص المخصصة بالرجال، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِحَطَبٍ، فَيُحْطَبَ، ثُمَّ آمُرَ بِالصَّلَاةِ، فَيُؤَذَّنَ لَهَا، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيَؤُمَّ النَّاسَ، ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَى رِجَالٍ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ يَعْلَمُ أَحَدُهُمْ، أَنَّهُ يَجِدُ عَرْقًا سَمِينًا، أَوْ مِرْمَاتَيْنِ حَسَنَتَيْنِ، لَشَهِدَ العِشَاءَ»[2]

-الإناث: المتأمل في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية يجد أن هناك نصوصًا مشتركة كما في هذه الآية الكريمة، وهنالك نصوص مخصوصة بالإناث، كما قال الله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[3] وقال سبحانه: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[4]، وفي السنة النبوية جاءت أحاديث مخصصة بالنساء، فعن أبي سعيد الخدري قَالَتِ النِّسَاءُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: غَلَبَنَا عَلَيْكَ الرِّجَالُ، فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ، فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِيَهُنَّ فِيهِ، فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ، فَكَانَ فِيمَا قَالَ لَهُنَّ: «مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلَاثَةً مِنْ وَلَدِهَا، إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ» فَقَالَتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَتَيْنِ؟ فَقَالَ: «وَاثْنَتَيْنِ».[5]

وعلى حَسَب الإيمان:

-فمنهم مؤمنون: وذكر مرة واحد قال الله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾[6]

---

(1) سورة الأحزاب: ٢٣.

(2) صحيح البخاري، كتاب صلاة الجماعة والإمامة، باب وجوب صلاة الجماعة، ١٦٥/١، ح (٦٤٤).

(3) سورة الأحزاب: ٣٣.

(4) سورة النور: ٣١.

(5) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف يقبض العلم، (١٠١) ، ٣٦/١.

(6) سورة غافر: ٤٠.

- **ومنهم كفار مشركون:** وذكر مرة واحدة، قال -عزَّ وجلَّ-: ﴿ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ ﴾[1]وقد جاء ذكر الشرك والكفر في السنة النبوية، فعن أبي سفيان قال سمعت جابرًا يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ»[2]، إن الشرك والكفر قد يطلقان بمعنى واحد وهو الكفر بالله تعالى، وقد يفرق بينهما فيخص الشرك بعبدة الأوثان وغيرها من المخلوقات مع اعترافهم بالله تعالى ككفار قريش فيكون الكفر أعم من الشرك والله أعلم.[3]

ومما يتضح مما سبق أن الملأ وعامة الناس من رجال ونساء، مؤمنين بالله وكافرين مستهدفون بالدعوة والنصح والإرشاد، ومأمورون بالتكاليف التي أوجبها الله عليهم، فينبغي للدعاة أن يعرفوا سمات المَدْعُوّين كما بينه الله في كتابه، كما ينبغي للدعاة إلى الله توجيه الدعوة للكافرين، سواء كانوا من أهل الكتاب يهودًا ونصارى، أو مشركين وثنيين، كما ينبغي لهم تعلُّم لغاتهم لغرض إيصال الإسلام، إليهم وإقامة الحجة عليهم، فما لا يتم الواجب به فهو واجب.

ثالثًا: سمات المَدْعُوّين وأوصافهم في قصة مؤمن آل فرعون:

إن وقوف الداعية على سمات المَدْعُوّين ومعرفة أوصافهم مهم جدًا في العملية الدعوية حتى يسهل على الداعية معرفة الموضوع الدعوي المناسب لهم وتحديده بشكل دقيق، والمتأمل في القصة يجد أن مؤمن آل فرعون حذرهم من أوصاف هم متصفون بها دون وصفهم بها، وهذا يساعد على حل المشكلة دون خوض المَدْعُوّ من الداعية في تبرئة نفسه منها، وجاءت هذه الأوصاف عن معرفة المؤمن بهم ودرايته بأحوالهم فهم قومه وهو منهم وهم منه، أنهم مسرفون كذابون، ومسرفون مرتابون، ومتكبرون جبارون.

-**مسرف كذاب، قال الله تعالى:** ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾[4]، والمسرف المقيم على المعاصي المستكثر منها، والكذاب المفتري.[5]

---

(1) سورة غافر: ٤٢.

(2) صحيح مسلم، ٨٨/١، ح (١٣٤) .

(3) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محيي الدين يحيى بن شرف النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢ه، ٧١/٢.

(4) سورة غافر: ٢٨.

(5) فتح القدير، الشوكاني، ٥٦١/٤ .

-**مسرف مرتاب:** قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾[1]، مسرف في معاصي الله مستكثر منها، مرتاب في دين الله، شاك في وحدانيته ووعده ووعيده.[2]

-**متكبر جبار:** قال -عزَّ وجلَّ-: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[3]لا بد من بيان الفرق بين المتكبر والجبّار، قال مقاتل متكبر عن قبول التوحيد جبّار في غير حق، وأقول كمال السعادة في أمرين التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله فعلى قول مقاتل التكبر كالمضاد للتعظيم لأمر الله، والجبروت كالمضاد للشفقة على خلق الله.[4]

رابعًا: كيفية دعوة قوم فرعون:

إن المتأمل في أوصاف فرعون يجد أنه كان مسرفًا في الكذب والمعاصي، وأنه كان مرتابًا في وحدانية الله، وكان متكبرًا جبارًا، وما معه من ملأ وحاشية سوء وفسق يؤزّونه أزًّا ويعينونه على غيه وفسقه، قال الله عن حاشيته وملئه ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾[5]، وقال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾[6]، إذا موقف مؤمن آل فرعون حساس وصعب في غاية الصعوبة من شخص هذه أوصافه، ولذلك نجد في موقف مؤمن حال تصديه لفرعون ورده عن ظلمه في قتل موسى عليه السلام، وبين ذلك بالحجج التي جاء بها موسى عليه السلام الدالة على صدقه، ومع ذلك لم يتهم مؤمن آل فرعون بالكذب، خشية ألا يستجيب وتأخذه العزة بالإثم، وبهذا يتضح أن مؤمن آل فرعون لم يبدأ بعرض الدين مباشرة، كما سلك الأنبياء المرسلون، فقال الله عن نوح عليه السلام: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ﴾[7] وقال الله تعالى هود عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[8]، وقال -عزَّ وجلَّ- عن صالح عليه السلام:

---

(1) سورة غافر: ٣٤.

(2) فتح القدير، الشوكاني، ٥٦٤/٤.

(3) سورة غافر: ٣٥.

(4) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ٥١٤/٢٧.

(5) سورة الأعراف: ١٠٩.

(6) سورة الأعراف: ١٢٧.

(7) سورة الأعراف: ٥٩.

(8) سورة الأعراف: ٦٥.

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾[1] وقال الله عن شعيب عليه السلام: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾[2]، أما مع فرعون فلم تعرض عليه الدعوة ابتداء، وهذا واضح من دعوة موسى عليه السلام لفرعون، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[3]، وقال -عزَّ وجلَّ-: ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾[4]، قال الله سبحانه: ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[5]، كما أن مؤمن آل فرعون لم يعرض الدعوة عليه مباشرة، فقد قدم احتمال الكذب على الصدق، قال الله تعالى: ﴿ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ﴾[6]، كما أن مؤمن آل فرعون نسب الملك والظهور في الأرض إليهم خاصة، ونظم نفسه في سلكهم فيما يسوؤهم من مجيء بأس الله تعالى تطييبًا لقلوبهم، وايذاناً بأنه مناصح لهم ساع في تحصيل ما يجديهم، قال سبحانه: ﴿ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ﴾[7] وبهذا يتضح لنا الموقف الذي تصدى له مؤمن آل فرعون في ثني فرعون عن قتل نبي الله موسى عليه السلام، وما استخدمه من طرق دعوية وأساليب[8] ناجعة من دعوة من يتصف بصفة فرعون وقومه.

المبحث الرابع: الفوائد الدعوية المتعلقة بموضوعات الدعوة في قصة مؤمن آل فرعون

إن المتأمل في قصة مؤمن آل فرعون يجد أن موضوعات الإيمان حاضرة فيها، وهذا ظاهر فيما وصفه الله تعالى عن مؤمن آل فرعون، وما ذكره المؤمن ودعا به قومه، وسأقسّم هذا المبحث إلى أربعة أقسام، الإيمان بالله، والإيمان بالرسل، والإيمان باليوم

---

(1) سورة الأعراف: ٧٣.

(2) سورة الأعراف: ٨٥.

(3) سورة الأعراف: ١٠٤-١٠٥.

(4) سورة طه: ٤٧.

(5) سورة الشعراء: ١٦-١٧.

(6) سورة غافر: ٢٨.

(7) سورة غافر: ٢٩.

(8) وسأبين الأساليب الدعوية في المبحث الخامس بمشيئة الله.

الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، وقد جاء ذكر أول أركان الإيمان الستة في القرآن الكريم، في الموضع الأول جاء ذكر الأصول الخمسة، قال الله –عزَّ وجلَّ–: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾[1]، وفي موضع آخر جاء ذكر أربعة من أصول الإيمان، قال الله سبحانه: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾[2] فنجد مواضع في القرآن الكريم يُقتَصَر فيها على ذكر الإيمان بالله وحده، وأخرى الإيمان بالله ورسله، وبعضها الإيمان بالله واليوم الآخر، وبهذا يتبين أن الإيمان الصحيح بالله يشمل بقية أصول الإيمان الخمسة المتبقية، وهي الإيمان بالملائكة، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، وجاء ذكر أصول الإيمان الستة في السنة النبوية مجتمعة كما في حديث جبريل المشهور، وجاء الإيمان بالله واليوم الآخر معًا، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخر، فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخر، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخر، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»[3]. وبهذا يتبين أن ما جاء فيه ذكر أصول الإيمان الأربعة، فهذ ضمناً داخلة في بقية أركان الإيمان الستة.

الموضوع الأول: الإيمان بالله تعالى:

نلحظ أن إيمان مؤمن آل فرعون بالله تعالى بارز في القصة ؛ حيث وصفه الله بالإيمان في أكثر من موضع، قال سبحانه: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ ﴾[4]، فنجد أن الله –عزَّ وجلَّ– وصفه بأنه (رجل مؤمن)، ووصفه (يكتم إيمانه)، فالجملة الإسمية كما قال النَّحْويون: تدل على الثبوت والدوام، وفي موضعين **كما قال الله –عزَّ وجلَّ–**: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾[6]، (وقال الذي آمن)، والجملة الفعلية تدل على التجدد والحدوث، وكما جاء

(1) سورة البقرة: ١٧٧.

(2) سورة البقرة: ٢٨٥.

(3) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ١٣/٨ (٦٠١٨) ،

(4) سورة غافر: ٢٨.

(5) سورة غافر: ٣٠.

(6) سورة غافر: ٣٨.

عن مقاتل: قال مقاتل: كتم إيمانه من فرعون مائة سنة.[1] فدفع اللهُ عن هذا المؤمن من آل فرعون بإيمانه وتصديق رسوله موسى مكروهَ ما كان فرعون ينال به أهل الخلاف عليه من العذاب والبلاء، فنجّاه منه.[2]

وبهذا نقول إن مؤمن آل فرعون مؤمن ثابت في إيمانه مداوم عليه، ويتعاهد إيمانه بتجدد.

ولأهمية الإيمان بالله ينبغي للدعاة إلى الله أن يجعلوا هذا الأصل ضمن محاضراتهم وكلماتهم الدعوية وعليهم أن يبرزوا أثر هذا الإيمان في حياة الفرد المسلم وعلى المجتمع الإسلامي، وبالإيمان بهذا الأصل أحد أسباب تحقيق الأمن، قال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾[3]، والإيمان بهذا الأصل سبب في تحقيق الحياة الطيبة المطمئنة، قال الله تعالى: ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[4]، وبالإيمان بالله تحصل الهداية للخير عند نزول المصائب، قال الله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾[5]

الموضوع الثاني: الإيمان بالرسل عليهم السلام:

المتأمل في قصة المؤمن يجد أن الرسل عليهم السلام لهم ذكر، فقد ورد في القصة خمسة من الرسل الله: نوح وعاد وثمود عليهم السلام، قال الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿ مِّثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴾[6]، وموسى عليه السلام جاء ذكره ضمنيًا، كما قال الله: ﴿ وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴾[7]، ويوسف عليها السلام، جاء ذكر اسمه فقال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي

---

(1) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي ، ٢٨٩/٥.

(2) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، ٣٩٤/٢١، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.

(3) سورة الأنعام: ٨٢.

(4) سورة النحل: ٩٧.

(5) سورة التغابن: ١١.

(6) سورة غافر: ٣١.

(7) سورة غافر: ٢٨.

شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴾[1].

إن الإيمان بالرسل عليهم السلام موضوع من موضوعات الدعوة التي ينبغي للدعاة إلى الله دعوة المَدْعُوّين إليها، ووجوب الإيمان بهم جميعًا، فقد ذم الله أهل الكتاب لإيمانهم ببعض الرسل وكفرهم ببعض، فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾، وحث المَدْعُوّين على الاستنان بسنة أفضل المرسلين نبي هذه الأمة محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام، فمن محبة امتثال هديه، قال الله –عزَّ وجلَّ–: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2].

الموضوع الثالث: الإيمان باليوم الآخر:

الإيمان باليوم الآخر من موضوعات الدعوية التي جاء ذكرها في قصة مؤمن آل فرعون في عدد من الآيات، وسمي باليوم الآخر لأنه آخر أيام الدنيا، أو آخر الأزمنة المحدودة والمراد بالإيمان به التصديق بما يقع فيه من الحساب والميزان والجنة والنار.[3]

قال الله –عزَّ وجلَّ–: ﴿ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾[4]، وقال الله سبحانه: ﴿ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴾[5]، وقال الله –عزَّ وجلَّ–: ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[6]، وقال –عزَّ وجلَّ–: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى

([1]) سورة غافر: ٣٤.

([2]) سورة آل عمران: ٣١.

([3]) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩ه، ١١٨/١.

([4]) سورة غافر: ٣٢-٣٣.

([5]) سورة غافر: ٣٩.

([6]) سورة غافر: ٤٠.

ٱلْأَخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[2]

إن الإيمان باليوم الآخر من أصول الإيمان ويعد موضوعًا من موضوعات الدعوة إلى الله، فينبغي للدعاة إلى الله توظيف هذا الأصل توظيفاً دعويًّا يعود بالنفع على حياة المَدْعُوّين في دنياهم وآخرتهم، وبهذا يستحضر المَدْعُوّ اليوم الآخر، ويتذكر دائمًا أن العباد سيقفون بين يدي الله ويجازي كلًّا بعمله إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، قال سبحانه: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾[3]، عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، وَلاَ حِجَابٌ يَحْجُبُهُ» [4]،

الموضوع الرابع: الإيمان بالقدر خيره وشره:

إن الإيمان بالقدر خير وشره من أصول الإيمان، وقد تكرر في قصة المؤمن ما يؤكد على هذا الأصل، فقال الله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾[6]، وقال الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴾[7]، وقال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾[8]، وقال سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴾[9]، وقال -عزَّ وجلَّ-: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾[10].

إن الموجب للإقدام على إيذاء الناس أمران أحدهما: كون الإنسان متكبرًا قاسي القلب والثاني: كونه منكرًا للبعث والقيامة، وذلك لأن المتكبر القاسي يحمله طبعه على إيذاء الناس إلا أنه إذا كان مقرًا بالبعث والحساب صار خوفه من الحساب مانعًا له من

---

(1) سورة غافر: ٤٣.

(2) سورة غافر: ٤٤.

(3) سورة الحاقة: ١٨.

(4) صحيح البخاري، كتاب التوحيد: بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة: ٢٣]

(5) سورة غافر: ٢٨.

(6) سورة غافر: ٣٣.

(7) سورة غافر: ٣٤.

(8) سورة غافر: ٣٥.

(9) سورة غافر: ٣٧.

(10) سورة غافر: ٣٨.

الجري على موجب تكبره، فإذا لم يحصل عنده الإيمان بالبعث والقيامة كانت الطبيعة داعية له إلى الإيذاء وكان المانع وهو الخوف من السؤال والحساب زائلًا، وإذا كان الخوف من السؤال والحساب زائلًا فلا جرم تحصل القسوة والإيذاء.[1]

إن مقتضيات الإيمان بالله الإيمان بالقدر خيره وشره –وهو من الموضوعات الدعوية التي ينبغي أن يقوم بها الدعاة إلى الله، وأن يرغبوا المَدْعُوّين فيها ويبرزوا ثمرات الإيمان به– من مقتضيات هذا انشراح الصدر، قال سبحانه: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[2]، ومن فوائد الإيمان به الشجاعة والإقدام، قال سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[3].

المبحث الخامس: الفوائد الدعوية المتعلقة بوسائل الدعوة وأساليبها في قصة مؤمن آل فرعون

إن الوسائل والأساليب الدعوية من أحد أركان منهج الدعوة المهمة، وعند التأمل في قصة مؤمن آل فرعون نجد أنه يوجد عدد من الوسائل الدعوة وأساليبها كانت معينًا على إيقاف عدوان بطش فرعون بموسى عليه السلام وذلك بالبينات والحجج، وأيضًا ساعدت على إيصال الدعوة إلى فرعون وإقامة الحجة عليه، وسأقسم هذا المبحث إلى عدد من الوسائل والأساليب المستخدمة في قصة مؤمن فرعون.

أولًا: توظيف المهنة الوظيفية أو المكانة الاجتماعية لخدمة الدين:

لقد كانت المكانة الاجتماعية لمؤمن آل فرعون أنه كان وليًّا للعهد في مملكة فرعون وقبطيًا من قومه،[4] ولا بد أن يكون له كلمة مسموعة، وخصوصًا أن مؤمن آل فرعون كان يكتم إيمانه فإنهم يراعونه في الغالب ما لا يراعونه لو خالفهم في الظاهر.[5]

---

(1) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ٥٠٨/٢٧، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: ٣، ١٤٢٠هـ

(2) سورة التوبة: ٥١.

(3) سورة آل عمران: ١٤٥.

(4) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، ت: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، ٣١٧/١٢، والجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت، الطبعة: الأولى– ١٤١٨هـ، ١١٣/٥.

(5) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ٧٣٦ .

قال الغزالي: والجاه معناه ملك القلوب بطلب محل فيها للتوصل إلى الاستعانة للفرض وكل من لم يقدر على القيام بنفسه في جميع حاجاته وافتقر لمن يخدمه افتقر إلى جاه في قلب خادمه؛ إذ لو لم يكن له عنده قدر لم يقم بخدمته فقيام القدر في القلوب هو الجاه، فالنفع يغني عنه المال والدفع يحتاج إلى الجاه.(١)

وبذل المعروف في الجاه فهو أن الناس مراتب، منهم من له جاه عند ذوي السلطان فيبذل الإنسان جاهه، يأتيه رجل فيطلب منه الشفاعة إلى ذي السلطان يشفع له عنده، إما يدفع ضرر عنه، أو بجلب خير له.(٢)

وبالمكانة الاجتماعية تحمى الدعوة ممن يريد بها شرًا؛ فقد كان أبو طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم حصنًا منيعًا وسندًا لابن أخيه، وكان صلى الله عليه وسلم يقول: «مَا نَالَتْ مِنِّي قُرَيْشٌ شَيْئًا أَكْرَهُهُ، حَتَّى مَاتَ أَبُو طَالِب» (٣).

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةٌ: رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ، وَأَبُو بَكْر، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلَالٌ، وَالْمِقْدَادُ، فَأَمَّا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِعَمِّه أَبِي طَالِب، وَأَمَّا أَبُو بَكْر فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِقَوْمه، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، وَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيد، وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْس، فَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَد إِلَّا وَقَدْ وَاتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا، إِلَّا بِلَالًا، فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْه نَفْسُهُ فِي اللَّه، وَهَانَ عَلَى قَوْمه، فَأَخَذُوهُ فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ، فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ، وَهُوَ يَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ"(٤).

ثانيًا: أسلوب السؤال:

وظَّف مؤمن آل فرعون أسلوب السؤال وغايته، طلب العلم بشيء بواسطة أدوات الاستفهام، وورد في موضعين من القصة، قال الله –عزَّ وجلَّ–: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ﴾(٥)، "أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله" استفهام على سبيل الإنكار، وقد ذكر في هذا الكلام ما يدل على حسن ذلك الاستنكار، وذلك لأنه ما زاد على أن قال: ربي الله

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي ، ٤٢٨/١ .

(٢) شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين، ص٨٨.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام، تحقيق طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل، بيروت، سنة النشر ١٤١١ه، ٢٦٤/٢.

(٤) سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، الناشر: دار الفكر – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الإيمان وفضائل الصحابة، باب فضل سلمان وأبي ذر والمقداد، ٥٣/١ (١٥٠) .

(٥) سورة غافر: ٢٨.

وجاء بالبينات وذلك لا يوجب القتل البتة.[1] والموضع الثاني، قال الله تعالى: ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَآۚ﴾[2]، استفهام إنكاري، "فمن ينصرنا من بأس الله" من أخذه وعذابه سبحانه "إن جاءنا" أي فلا تفسدوا أمركم ولا تتعرضوا لبأس الله تعالى بقتله؛ فإنه إن جاءنا لم يمنعنا منه أحد، فالفاء في- فمن- فصيحة والاستفهام إنكاري.[3] ويتضح من خلال السؤالين اللذين ورد في القصة أن لا إجابة مثبته، والهدف والغاية منها حث فرعون على أن يتفكر في ذهنه ويستجلب الإجابة بنفسه حتى يكون أوقع في قلبه، وتعطيه حرية في تحديد مصيره بفطرته، وهذا أسلوب ناجع في توظيفه في الدعوة إلى الله.

ثالثًا: أسلوب التقسيم:

استخدم مؤمن آل فرعون أسلوب التقسيم. ويقصد به: تجزئة الشيء، بأن يقال: الشيء إما كذا وإما كذا.[4] ويتضح هذا الأسلوب في معرض القصة، قال سبحانه: ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ﴾[5]، فحتج مؤمن آل فرعون على دعوة قتل نبي الله موسى عليه السلام بأسلوب التقسيم، فلا يخلو من أن يكون كاذبًا أو صادقًا، وإن يك كاذبًا فعليه كذبه، أي يعود عليه كذبه ولا يتخطاه ضرره، وإن يك صادقًا يصبكم بعض ما يعدكم إن تعرضتم له.[6] وبدأ بالكذب ليبعد عن نفسه الانحياز لموسى عليه السلام، وإبعاد الشبهة عنه. وأسلوب التقسيم يساعد فرعون على تحديد الفرضيات المحتملة بين الكذب والصدق ولا ثالث لهما، والكذب منفيٌّ عن نبي الله موسى كون ما جاء به من البينات والمعجزات الدالة على صدقه، ولذا يتقرر صدق موسى عليه السلام وكذب فرعون.

---

(1) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ٥٠٩/٢٧ .

(2) سورة غافر: ٢٩.

(3) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الآلوسي، ٣١٨/١٢ .

(4) القاموس المحيط، فيروز آبادي، ١٦٦/٤.

(5) سورة غافر: ٢٨.

(6) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، ، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ه، ١٦٢/٤ ، ومحاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ، ٣٠٧/٨، ومفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ٥٠٩/٢٧-٥١٠ .

رابعًا: أسلوب النداء:

يتضح من قصة مؤمن آل فرعون أن أسلوب النداء قد استعمل تكرارًا، ويقصد بأسلوب النداء: طلب الإقبال بيا أو بإحدى أخواتها والمراد بالإقبال مطلق الإجابة.[١] ونجد أن أسلوب النداء قد كرر ست مرات في القصة (يا قوم). وتكرار النداء فيه زيادة تنبيه لهم وإيقاظ من سنة الغفلة، وإظهار أن له بهذا المهم مزيد اهتمام، وعلى أولئك الأقوام فرط شفقة.[٢]

مكررًا دعوة قومه غير آيس من هدايتهم، كما هي حالة الدعاة إلى الله تعالى، لا يزالون يدعون إلى ربهم، ولا يردهم عن ذلك راد، ولا يثنيهم عتو من دعوه عن تكرار الدعوة.[٣]

ومما يتضح أن أسلوب النداء وتكراره بـــ "يا قوم" ست مرات لدلالة على شفقته بهم ومحبة الخير لهم، وفيه حث على استجلاب عواطفهم وأنه منهم وهم منه، وفيه زيادة اهتمام وتقدير، وهذا منهج دعوي سلكه الأنبياء عليهم السلام؛ ولذا ينبغي للدعاة إلى الله مناداة المَدْعُوّين بأحب الأسماء إليهم.

خامسًا: أسلوب الترغيب:

إنّ أسلوب الترغيب من الأساليب العاطفية، ويقصد به: كل ما يشوق المَدْعُوّ إلى الاستجابة وقبول الحق، والثبات عليه.[٤]

ولقد رغَّب مؤمن آل فرعون قومه في نعيم الجنة وشوَّقهم إليها، قال الله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[٥]

والنفس مجبولة على الترغيب، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ المُفَصَّلِ، فِيهَا ذِكْرُ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الإِسْلاَمِ،

---

(١) حاشية الحضري على شرح ابن عقيل، محمد الدمياطي الشافعي الحصري، مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي، الطبعة الأخيرة، مصر، ١٣٥٩هـ، ٧١/٢.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ٥١٩/٢٧ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص، ٧٣٦ .

(٤) أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، الطبعة التاسعة، ١٤٢١هـ، بيروت، ص٤٣٧.

(٥) سورة غافر: ٤٠.

نَزَلَ الحَلاَلُ وَالحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لاَ تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ: لاَ تَزْنُوا، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا ".[1]

سادسًا: أسلوب الترهيب:

يقصد بأسلوب الترهيب: كل ما يخيف ويحذر المَدْعُوّ من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله.[2] يتبين من قصة مؤمن آل فرعون استعماله لأسلوب الترهيب، فوظف هذا الأسلوب تحذير قومه من الكفر بالله فرهبهم بالنار، قال الله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾[3]، والآية الثانية، قال سبحانه: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾[4]. واعلم أن الآخرة كما أن النعيم فيها دائم فكذلك العذاب فيها دائم، وأن الترغيب في النعيم الدائم والترهيب عن العذاب الدائم من أقوى وجوه الترغيب والترهيب، ثم بين كيف تحصل المجازاة في الآخرة، وأشار فيه إلى أن جانب الرحمة غالب على جانب العقاب فقال: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ والمراد بالمثل ما يقابلها في الاستحقاق.[5]

والملاحظ أنَّ القرآن الكريم مملوء بما يرغِّب الناس في قبول دعوة الإسلام والتحذير من رفضها، مما يدل دلالة قاطعة على أهمية هذا الأسلوب: أسلوب الترغيب والترهيب في الدعوة إلى الله تعالى، وعدم إهماله من قِبَلِ الداعي المسلم.[6]

سابعًا: أسلوب استعمال المعاريض:

إن أسلوب استعمال المعاريض من الأساليب الدعوية التي استخدمها مؤمن آل فرعون في تصديه لقتل موسى عليه السلام ودعوة قومه للهدى وطريق الحق المستقيم. ويقصد به: جمع معراض من التعريض وهو أن يقول كلامًا يُفْهَم منه شيء، ويَقْصِد المتكلم به شيئًا آخر.[7]

---

(1) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، ١٩١٠/٤، ح (٤٧٠٧) .

(2) أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان، ص٤٣٧ .

(3) سورة غافر: ٤١.

(4) سورة غافر: ٤٣.

(5) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ٥١٨/٢٧.

(6) أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان، ص٤٣٧.

(7) التعريفات ، لأبي الحسن علي بن محمد بن علي المعروف بـ السيد الشريف ، ط ٣ ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ١٩٨٨ م ، ص ٨٥ ، التوقيف على مهمات التعاريف ، لمحمد عبدالرؤوف المناوي ، تحقيق : د. محمد رضوان الداية ، ط ١ ، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر ـ بيروت ، دمشق ، ١٤١٠هـ ، ص ١٨٥ .

عرض لفرعون بأنه مسرف أي في القتل والفساد، كذاب في ادّعاء الربوبية لا يهديه الله تعالى سبيل الصواب ومنهاج النجاة.[1]

وجاء أسلوب المعاريض في أثناء قصة مؤمن آل فرعون في موطنين، الموطن الأول، قول الله تعالى: ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ﴾[2]، إن الله لا يهدي من هو مسرف كذّاب إشارة إلى علو شأن موسى عليه السلام على طريق الرمز والتعريض.[3]

والموطن الثاني، قوله سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾[4]، يا قوم اتبعون فيما دللتكم عليه أهدكم سبيل الرشاد سبيلًا يصل به سالكه إلى المقصود، وفيه تعريض بأن ما عليه فرعون وقومه سبيل الغي.[5]

وقد استعمل النبي صلى الله عليه وسلم أسلوب المعاريض، فعن أنس بن مالك ﷺ: كَانَ لِلنَّبِيِّ صلَى الله عَلَيهِ وسلَمَ حَاد، يُقَالُ لَهُ: أَنْجَشَةُ، وكَانَ حَسَنَ الصَّوْت، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلَى الله عَلَيهِ وسلَمَ: «رُوَيْدَكَ يَا أَنْجَشَةُ، لاَ تَكْسِرِ القَوَارِيرَ»[6] . وعن أنس بن مالك قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلاَتِهِمْ، فَاشْتَدَّ قَوْلُهُ فِي ذَلِكَ، حَتَّى قَالَ: لَيَنْتَهُنَّ عَنْ ذَلِكَ، أَوْ لَتُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ»[7].

ومما سبق يتضح أن أسلوب المعاريض من الأساليب العاطفية التي تستخدم مع من يخشى بطشه وظلمه، ومع أصحاب المكانة والشرف وغير ذلك من الشخصيات التي يراعى فيها العامل النفسي، فغاية استخدامه أن يوصل المضمون الدعوي للمدعو بدون التصريح.

ثامنًا: أسلوب التدرج:

إن مؤمن آل فرعون لم يدعُهم إلى الله مباشرة، فقد استعمل أسلوب التدرج في الدعوة إلى الله وفي إظهار إيمانه، فنجد أن المؤمن بدأ بالدفاع عن نبي الله موسى عليه السلام بالحجج والبراهين الدالة على صدقه، ثم ذكرهم بالنعم التي أنعم الله بها عليهم، وخوّفهم

---

(1) انظر: روح المعاني، الألوسي، ٣١٨/١٢.

(2) سورة غافر: ٣٨.

(3) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ٥١٠/٢٧ .

(4) سورة غافر: ٢٩ .

(5) روح المعاني الألوسي، ٣٢٣/١٢.

(6) صحيح البخاري، كتاب الأدب، بَابٌ: المَعَارِيضُ [ص:٤٧] مَنْدُوحَةٌ عَنِ الكَذِبِ، ١٥/ ، ٤٧٩ح (٦٢١١) .

(7) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب رفع البصر إلى السماء في الصلاة، ١٦١/٢، ح ٧٥٠ .

بحال الأمم السابقين الذين عصوا أنبياءهم، ثم رهّبهم باليوم الآخر الذي لا ينفع فيه إلا التقوى والعمل الصالح، ثم ذكّرهم بإنكار أجدادهم أن لا نبي بعد نبي الله يوسف عليه السلام، ثم حذّرهم من الجدال بدون علم، وسار معهم بأسلوب التدرج: تارة يدافع عن نبي الله موسى عليه السلام، وتارة يخوفهم وتارة يرهبهم وأخرى يحذرهم، حتى قال كما ذكر القرآن الكريم: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾[1]

تاسعًا: الجدال:

ورد أسلوب الجدل في قصة مؤمن آل فرعون من باب الذم المجادلة بدون علم، قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾[2]، الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أي بغير حجة، بل إما بناء على التقليد المجرد، وإما بناء على شبهات خسيسة كبر مقتًا عند الله والمقت هو أن يبلغ المرء في القوم مبلغًا عظيمًا فيمقته الله ويبغضه ويظهر خزيه وتعسه، في ذمه لهم بأنهم يجادلون بغير سلطان دلالة على أن الجدال بالحجة حسن وحق وفيه إبطال للتقليد.[3]

والجدال بالحسنى وبالكلام الطيب والأدب الجم والتواضع والهدوء وعدم رفع الصوت، وعدم إغاظة المقابل والاستهزاء به، وليبقَ كلامه معه على مستواه العالي الرفيع الرقيق اللين المحبوب، الخالي من الفظاظة والخشونة، ولكن فيه قوة الإقناع ووضوح الحق، ومثل هذا يستفاد من قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ، فإذ أصر المَدْعُوّ على باطله ولَجَّ في عناده، وأصبح الكلام معه عبثًا، فليقطع الداعي الجدل معه.[4]

---

(1) سورة غافر: ٣٨.

(2) سورة غافر: ٣٥.

(3) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ٥١٣/٢٧.

(4) أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان، ص٤٧٨ .

الخاتمة

الحمد لله في البدء وفي الختام، والصلاة والسلام على خير الأنام، وبعد فهذه خاتمة بها أهم نتائج التي يمكن استنباطها من خلال دراسة قصة مؤمن آل فرعون في هذا البحث، وهي:

١. أنّ الأقوال تعددت في اسم مؤمن آل فرعون ونسبه ومهنته وقرابته من فرعون ونحو هذه الأمور، لكن القصة في القرآن الكريم لا تهتم بذكر مثل هذه الأمور لأنها تهتم بذكر ما فيه عبر وفوائد.
٢. البدء بدعوة العشيرة الأقربين وإبلاغهم دين الله.
٣. جواز كتمان الإيمان عند وجود ضرورة أو مصلحة.
٤. مراعاة المصالح والمفاسد في ممارسة العمل الدعوي، وهذا يحتاج إلى فطنة وحكمة من الداعية ليفعل ما فيه المصلحة، ويجتنب ما فيه المفسدة.
٥. وجوب نصرة المظلومين من بطش المعتدين، فالداعية يجب عليه أن ينصر المظلوم، وأن يكون مع الحق حيث كان على قدر الاستطاعة.
٦. أن الهداية بيد الله تعالى، فعلى الداعية أن يبذل ما يستطيع من أجل هداية المدعوّين، وأن يترك النتائج على الله، ولا يحزن لعدم استجابة بعضهم أو أكثرهم لدعوته.
٧. أن يتحلّى الداعية بالتوكل على الله تعالى؛ فهو زاده في عمله الدعوي، وهو عونه على تحمّل الصعاب، وتجاوز العقبات.
٨. أهمية العلم في الدعوة إلى الله، فهو النور الذي يستضيء به الداعية في طريق الدعوة، وهو مادة دعوته، ولُبُّ عُدَّته، ولا يُتصور أن يمارس أحد عمله بدون مادة صنعته، أو بدون عُدَّته.
٩. يجب أن يكون الداعية على علم بأصناف المدعوين وأحوالهم ومقادير عقولهم وأفهامهم وأحوالهم النفسية والمزاجية؛ ليتعامل مع كل شخص منهم بما يناسب حاله، فهذا من فقه الدعوة ، ومن أهم عوامل نجاحها.
١٠. يجب على الداعية أن يبدأ في دعوته بالأهم ثم المهم، فيبدأ بالدعوة إلى أركان الإيمان الستة، لأنها أساس العقيدة، والعقيدة أساس الدين، ثم يدعو بعد ذلك إلى التكاليف الشرعية، والآداب الإسلامية، ونحوها.

١١.ينبغي توظيف مهنة الداعية ومكانته الاجتماعية لخدمة الدين، فقد استفاد مؤمن آل فرعون من صلته بفرعون وكونه أحد مُجالسيه وأحد أصحاب الشورى عنده في خدمة الدعوة، والدفاع عن سيدنا موسى عليه السلام، ومحاولة إقناع فرعون ومن معه بالدعوة.

١٢.يجب على الداعية تنويع الأساليب في أثناء ممارسة عمله الدعوي، فيستخدم مثلًا: أسلوب السؤال، وأسلوب التقسيم، وأسلوب النداء، وأسلوب الترغيب، وأسلوب الترهيب، وأسلوب التعريض، وأسلوب التدرج مع المدعوين، وغيرها من الأساليب، ويستخدم كل أسلوب مع من يناسبه من المدعوين، وفي الوقت المناسب لاستخدامه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع

- أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، الطبعة التاسعة، ١٤٢١ه، بيروت.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت -لبنان،عام النشر:١٤١٥ هـ - ١٩٩٥مـ.
- التعريفات ، لأبي الحسن علي بن محمد بن علي المعروف بـ السيد الشريف ، ط ٣ ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ١٩٨٨ م .
- التوقيف على مهمات التعاريف ، لمحمد عبدالرؤوف المناوي ، تحقيق : د. محمد رضوان الداية ، ط ١ ، دار الفكر المعاصر، دار الفكر ـ بيروت ، دمشق ، ١٤١٠هـ.
- الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ – ١٩٨٧.
- الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل بيروت ودار الأفاق الجديدة ـ بيروت.
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، ط: ٢، ١٩٦٤م
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة: الأولى- ١٤١٨هـ
- السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام، تحقيق طه عبد الرءوف سعد، ٢٦٤/٢، الناشر دار الجيل، سنة النشر ١٤١١ه، مكان النشر بيروت.
- الفروق اللغوية، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، ت: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ه.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ٧١/٢، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢ه.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، ٣٥١/٤، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

– الوابل الصيب من الكلم الطيب، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ – ١٩٨٥.
– تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ت: سامي محمد سلامة، ١٤٤/٧، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: ٢، ١٩٩٩م.
– تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، طبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.
– جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.
– حاشية الحضري على شرح ابن عقيل، محمد الدمياطي الشافعي الحصري، مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي، الطبعة الأخيرة، مصر، ١٣٥٩ه.
– روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، ت: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
– زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
– سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، الناشر: دار الفكر – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي.
– سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت.
– شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين.
– فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩ه.
– فتح القدير، الشوكاني، دار الكلم طيب، بيروت، ط: ١، ١٤١٤هـ.
– فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو المَدْعُوّ بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦ه.

- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى.
- مجموع فتاوى ابن تيمية، دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية – ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر: دار الوطن – دار الثريا، الطبعة: الأخيرة – ١٤١٣هـ.
- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ،
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: ٣، ١٤٢٠هـ.
- منهاج السنة النبوية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ه.